مجلة الدراسات التاريخية
مجلد 22 العدد 1 السنة 2021 ص75 ص96
E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

البعد الإجتماعي في تخطيط المدن الأميرية في المغرب الأوسط "مدينة القلعة الحمادية أنموذجا"

The social dimension of the princely cities of the middle maghreb. The city of qalaa al-hammadia is a model.

د. شريف عبدالقادر

جامعةالجزائر2 أبو القاسم سعدالله cherifaek01@gmail.com

تاريخ الاستلام: 01 / 05/ 2021 **تاريخ القبول**: 22/ 12/ 2021

الملخص:
تميزت المدن الأميرية عن غيرها من المدن الأخرى ،بعدة اعتبارات سياسية وعسكرية ودينية ،بالإضافة إلى طبيعة تخطيطها ومكوناتها ومرافقها الخاصة والعمومية ،وحتى من حيث طرازها. والشيء المهم في ذلك هو البعد الاجتماعي في تشكيلها من حيث الدور والمنازل والقبائل التي تسكنها أو تشكل كيانها الاجتماعي ،وبالتالي فهي بذلك تؤدي عدة وظائف يراعى فيها الطابع الاجتماعي ،والتكوين القبلي والتركيبة البشرية للعناصر السكانية المكونة للمدينة مما يضفي عليها طابعا اجتماعيا ينعكس على طبيعة عمرانها وهندستها.

الكلمات المفتاحية: المدن الاميرية-القلعة-التركيبة البشرية-القبائل-التخطيط.

مجلة الدراسات التاريخية

Abstract :
The princely cities were distinguished from other cities, with several political, military and religious considerations, in addition to the nature of their planning, their components, private and public facilities, and even in terms of their style. Consequently, it performs several functions that take into account the social character, the tribal formation and the human makeup of the demographic elements that make up the city, which gives it a social character that is reflected in the nature of its construction and engineering.
Key words: princely cities - the castle - human structure - tribes – planning

المرسل د- شريف عبدالقادر cherifaek01@gmail.com

1. مقدمة:

تميزت بلاد المغرب الإسلامي جغرافيا من البحر إلى المحيط بتنوعها واختلاف عنصرها البشري وتركيبته ،فمنهم البربر ومنهم العرب وحتى فئات أخرى ،ومن سكان الجبال إلى سكان السهول،ومن الرحل المتنقلين إلى الحضر المستقرين.لكن هذا التنوع والتوزع لم يكن عاملا في خلق الطباع المتنافرة والعادات المتباعدة ،بل كانت الحياة والتقاليد متقاربة وبالتالي توحيد القبيلة أثناء الرخاء وفي حالة الشعور بالخطر كان حاضرا.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

والذي زاد في هذا التماسك والتلاحم الدين الإسلامي من خلال توفير الحماية والمناعة والقوة ،وفي المقابل لايمكن انكار مدى استغلال الأعراب والنصارى المجاورين والمناوئين والمتربصين بالإسلام والمسلمين ببلاد المغرب الإسلامي للتنافس القبلي والتباين العشائري ومحاولاتهم المتكررة لخلق الفتن وإثارة القبائل بعضها ضد بعض ،والدول المتنافسة لإضعاف بعضها بعضا وانهاك قوتها العسكرية وقدراتها الهجومية.

من هذا المنطلق يظهر لنا سعي العديد من الدول المستقلة في بلاد المغرب إلى تحصين قوتها من خلال بناء مدن عواصم جديدة واختيار التركيبة البشرية التي تشد ساعدها أثناء الحاجة ،هذا الذي يعكس دور النسيج البشري في تكوين الدولة وتخطيط المدن على أساس التركيبة البشرية ومن أمثلة ذلك الدولة الحمادية وبناء حماد للعاصمة القلعة.

من هذا المنطلق تسعى هذه الورقة البحثية الى الكشف عن خلفيات تأسيس المدن الأميرية ،وأهمية التركيبة البشرية المكونة لهذه المدن ،وكيف استطاع حماد أن يجمع في مدينة القلعة العديد من القبائل داخل عاصمته مكونا بذلك نسيجا بشريا ساهم في تطور هذه المدينة ورقيها،متبعا المنهج التاريخي المبني على الوصف والتحليل؟

1-المدلول الإجتماعي لتخطيط المدينة:

تخطيط المدينة هو عملية تحديد وتعريف أفضل طريقة لتحقيق أهداف معينة ،ثم اختيارها وفقا لإعتبارات معينة ،في ظل الموارد المحدودة والقيود التي تفرضها الظروف السائدة في المجتمع.[1]

وفي المدينة الإسلامية يتم مراعاة جملة من الجوانب سواء كانت عمرانية أو اقتصادية أواجتماعية.إن التخطيط الإجتماعي للمدينة يخضع إلى عدة معايير أهمها أن الحاكم يجب أن يميز بين القبائل التي تسكن المدينة بألايجمع أضدادا مختلفة متباينة ،حتى لا تكون له انعكاسات سلبية على الدولة [2]،وعليه فإن تخطيط المدينة كوحدة أساسية يعكس ضرورة تجمع القبيلة في موضع واحد بحيث يبرز رؤية اجتماعية يسهل التكيف الإجتماعي بالإضافة إلى تسهيل إدارة المدينة.[3]

لكن مع تطور الحياة المدنية تم تذويب النزعة القبلية وبرزت فكرة المصالح المشتركة ممازاد في سرعة عمران ونمو المدينة ،وساعد على ذلك مؤسساتها وهياكلها المختلفة التي تقوم على أساس أحكام وقيم الإسلام.[4]

يرى ابن الربيع أن الحاكم إن أراد أن يسكن مدينته "فليسكن أفسح أطرافها ،وليجعل خواصه محيطين به من سائر جهاته."[5]

واقتداء بما كان سائدا في المشرق الإسلامي في تخطيط المدن ،سار المغاربة على نفس النمط فأصبحت دار الإمارة محورا من المحاور الرئيسية وتكون مجاورة للمسجد الجامع ،قريبة منه ملاصقة له نتيجة التكامل الوظيفي بينهما.[6]

وتمثل مدن العواصم أهم نوعية من المدن الإسلامية باعتبار أهميتها السياسية المنعكسة في ازدياد عمرانها ،فهي تنال من الحظوة والرعاية مالا يناله غيرها من المدن

،وقد يتأثر عمران هذه المدن بزوال أهميتها السياسية لزوال دولتها كالقلعة عاصمة بني حماد.

2- حماد بن بلكين قبل بناء القلعة:

أ) مولده ونشأته:

هو حماد بن بلكين بن زيري بن منقوش الصنهاجي، كان الرابع في ترتيب أبناء بلكين الصنهاجي ،وهو أول أمراء هذه الأسرة، لقد انفرد حماد بحكم معظم أجزاء الجزائر الحالية.[7] نشأ حماد في بيت الخلافة الفاطمي في المغرب بسبب كون أبوه وجده زيري اليد اليمنى للدولة الفاطمية، وهناك توضحت ملامح شخصيته وهو طفل صغير.و في جل الكتب التي تتحدث على حماد لا تتطرق إلى تاريخ مولده بشكل دقيق ولكن على حسب عبد الفتاح مقلد فإن ولادته كانت قبل استقلال أبيه بلكين بحكم المغرب سنة 361هـ بعد سنوات ،ربما في أعوام (353هـ أو 54هـ).[8]

ولقد تلقى في قصر الخلافة "الفاطمية" جميع مقومات الشخصية الإسلامية، إضافة لتعلمه فنون القتال والفروسية هذا ما جعله متميزا بين أخوته.

كان حماد على علم كبير بالقرآن الكريم وعلم الحديث ولكنه لم يكن ميالا لتعلم المذهب الإسماعيلي الشيعي، لأنه كان مهتما بالجانب القتالي، وبرزت شخصيته على مسرح الأحداث في عهد أخيه المنصور بن بلكين سنة 373هـ/983م لما استعان به هذا الأخير لقتال زناته المنافسة لصنهاجة على حكم المغرب.[9]

ب) شخصيته:

لقد لمع اسم حماد كقائد عسكري من خلال الحروب مع قبائل زناته حيث كان قائد للجيوش الصنهاجية في الجهة الغربية للبلاد وقد وعده المنصور بأن يمنحه حكم البلاد التي يستخلصها من أيدي زناته، ولأن الحروب معها كانت طويلة ومرتبطة مع بعضها البعض فاضطر حماد إلى اتخاذ أشير عاصمة له.[10] وفي عهد ابن أخيه ابن المنصور 386هـ/996م كان حماد يقوم بحماية حدود الدولة الغربية من هجوم زناتة اضافة الى أنه طيلة حكم ابن اخيه باديس ظل الرجل الثائر الاول و استطاع منذ 373 هـ حتى 363 هـ جمع اعوان له من مختلف البلدان للاطاحة بزناتة الشئ الذي ادى في سنة 395 هـ إلى عقد هدنة معها مما جعله في نفس العام بأخذ عهدا من ابن أخيه باديس بحكم جميع الأقاليم التي يفتحها، إضافة إلى أن بعض المصادر ترى أن نفس العام الذي أمر فيه بتخطيط بناء القلعة والتي ستصبح عاصمة له.[11]

كما أنه قام بقتل الشيعة وإظهار السنة والمذهب المالكي وخلع نفسه من طاعة الفاطميين وإعلان طاعته للعباسيين عام 405هـ، هذا العام نفسه الذي انتصر فيه على أخوه كرامة بن المنصور الذي كان تحت راية قوات المعز بن باديس.[12]

ومن خلال هذه الأحداث كلها وامتلاكه إلى الأراضي الواسعة من نهر الشلف حتى نهر الملوية، رأى أنه من واجبه أن يقوم بتأسيس دولة ووضع عاصمة سياسية وبناء حصن يحتمي فيه من الأعداء.

لقد شهدت عاصمة الحماديين (القلعة) في عهد حماد ازدهاراً كبيراً من ناحية العمران إلى الناحية الحضارية، وكان عهده متميزا بكثرة البناء والتشييد وقوة الحكم وقد كان الفن المعماري فيها عبارة عن خليط من الفن العراقي والأندلسي كما عمل حماد على توطيد دعائم الدولة بتقريبه لرجال الفكر والعلم والدولة من مجلسه،

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

إضافة إلى أنه كان يزيد من التوسع العمراني والزراعي للدولة،ويشجع على الهجرة إليها حيث نقل إليها أهل المسيلة وأولاد حمزة توفي حماد بن بلكين في شهر رجب من سنة 419هـ/1028م، عن عمر يناهز مئة عا م[13]

3- بناء القلعة وتأسيس الدولة:

يرجع الفضل في اختطاط و تأسيس مدينة قلعة بني حماد عام 398هـ/1007م[14] إلى الأمير حماد بن بلكين بن زيري بن مناد[15], الصنهاجي (ت 419هـ/1028م) [16] الذي اتخذها عاصمة لإمارته التي انفصلت عن الدولة الزيرية. و في ذلك يقول ابن خلدون : «...و اختط مدينة القلعة بجبل كتامة سنة ثمان و تسعين، و هو جبل عجيسة ،و ولى العهد قبائل عياض من عرب هلال. ونقل إليها أهل المسيلة و حمزة و خربهما. و نقل جراوة من المغرب و أنزلهم بها، و تم بناؤها و تمصيرها على رأس المائة الرابعة. و شيد من بنيانها و أسوارها، و استكثر فيها من المساجد و الفنادق فاستبحرت في العمارة و اتسعت بالتمدن. ورحل إليها من الثغور و القاصية و البلد البعيد و طلاب العلوم و أرباب الصنائع لنفاق أسواق المعارف و الحرف و الصنائع بها ».[17]

و كانت القلعة هي حصن أمراء بني حماد، الذي يلجئون إليه وقت الخطر، كما كان الحال مع المهدية[18] بالنسبة للفاطميين و بني زيري و القصر القديم بالنسبة للأغالبة. و المنصورية بالنسبة للفاطميين في أخريات أيامهم بافريقية.

ان قلعة بني حماد تعتبر من أعاظم القلاع التي أنشأها المسلمون في تاريخهم، و هي تقارن بقلعة حصن الأكراد بالشام و التي بناها الصليبيون في الشام و استولى عليها صلاح الدين و كذلك قلعة صلاح الدين في القاهرة.[19]

يرجع الفضل في تشييد هذه القلعة إلى حماد الذي استطاع بوسائل عدة أن يبرز نفسه كرجل جدير بتأسيس دولة مستقلة في المغرب الاسلامي, حيث فرضت شخصيته على الدولة الزيرية (ت 386هـ/796م)[20], أن تستعين به في القضاء على مشاكلها الداخلية والخارجية, وذلك لما عرف به من ذكاء وفطنة[21] و حنكة سياسية وعسكرية[22] حيث يعود أول ظهور لحماد بن بلكين[23] على مسرح السياسة في المغرب الإسلامي, إلى العهد الزيري وتحديدا إلى عهد أخيه المنصور بن بلكين حوالي 377هـ/987-988م [24] حيث عقد له على أشير والمسيلة بالتداول مع أخيه ياطوفت وعمه أبي البهار.[25]

4- قلعة بني حماد في اهتمامات الرحالة والجغرافيين:

بعد تأسيس حماد لدولته قام باختطاط عاصمة جديدة لدولته،وهي مدينة القلعة ،والتي تبعد عن مدينة المسيلة باثني عشر ميلا.[26]

لقد تم الإختلاف في تاريخ بنائها فهدا ياقوت الحموي يقول عن دلك " قلعة حماد مدينة متوسطة بين أكم وأقران لها قلعة عظيمة على قمة جبل يسمى تاقربوست تشبه في التحصن ما يحكى عن قلعة أنطاكية ،وهي قاعدة ملك بني حماد...وهو أول من أحدثها سنة 370هـ..." ،بينما تدهب جل المصادر الأخرى إلى أن المدينة تأسست حوالي 398هـ/1010م وعرفت أيضا باسم قلعة أبي الطويل.[27]

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

بدأ تعمير المدينة من طرف حماد ،حيث نقل إليها السكان من مدينتي المسيلة وسوق حمزة وخربهما ،ونقل قبيلة جراوة من المغرب وأسكنهم المدينة ،ويمكن أن يكون الوباء العظيم الذي أصاب المنطقة سنة 395هـ/1008م قد ساهم في تعمير المدينة بعد هجرة السكان إليها.[28]

ويظهر من خلال وصف الجغرافيين والرحالة للمدينة أنها تميزت بخصائص متنوعة تعكس لنا مظاهرها الإجتماعية المتباينة ،فهدا البكري يقول عنها:"قلعة أبي الطويل وهي قلعة كبيرة دات منعة وحصانة فلما كان خراب القيروان انتقل إليها أكثر أهل افريقية ،وهي اليوم مقصد التجار وبها تحل الرحال من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب ،وهي اليوم مستقر مملكة صنهاجة."[29]

بينما تعكس ملاحظات الإدريسي أهمية المدينة عسكريا ،وتنوع عناصر سكانها فيصفها قائلاً:"ومدينة القلعة من أكبر البلاد قطراً وأكثرها خلقاً وأغزرها خيراً وأوسعها أموالاً وأحسنها قصوراً ومساكن...وهي في جبل سامي العلو صعب الإرتقاء وقد استدار سورها بجميع الجبل ويسمى تاقربت...".[30]

بينما عند صاحب الإستبصار فهي:" مدينة قلعة أبي الطويل وهي قلعة بني حماد ،وهي مدينة عظيمة قديمة أزلية على نظر عظيم كثير الزرع وجميع الخيرات وهي في جبل عظيم ،وهي حصينة منيعة لا تمكن بقتال ،وبنى حماد بالقلعة مبان عظيمة وقصور منيعة متقنة البناء عالية السناء منها قصر يسمى بدار البحر."[31]

استمرت القلعة في التطور والإزدهار إلى غاية حكم الناصر بن علناس ،حيث عرفت في عهده هجمات من القبائل الهلالية ،وكانت موقعة سبيبة سنة 457هـ/1069م وهزيمة جيش الناصر أمام الجيش الهلالي الأثر الكبير في دخول وتواصل زحف القبائل الهلالية إلى المنطقة ،حيث استباحوا أراضي بلاد الزاب وخربوا مدينة طبنة والمسيلة وطردوا سكانها.[32]

وتعرضت القلعة إلى هذه الهجمات التي كانت قوية فلم تستطع مقاومتها ،ولم يلبث الناصر طويلاً حيث قام ببناء عاصمة جديدة لدولته وهي مدينة بجاية والتي سميت بالناصرية نسبة إليه.[33]

5-العناصر السكانية المكونة لمدينة القلعة وتوزيعهم:

عرفت قلعة بني حماد بعد بناءها بتركيبة بشرية واجتماعية متنوعة ،حيث عمرتها ورحلت إليها وتعايشت في هذه الرقعة الجغرافية العناصر الوافدة للمدينة واستقرت بها.حيث تشكلت هذه العناصر الوافدة أفراداً وجماعات وبعد الإحتكاك بالسكان الأصليين شهدت تغيراً جذرياً في التركيبة الإجتماعية ،كما تسربت عادات وتقاليد ومعتقدات هذه العناصر إلى داخل المدينة.[34]

على اعتبار أن ساكنة المغرب الأوسط جلهم من البربر حسب أغلب المصادر التاريخية فإن تعمير مدينة القلعة المدينة الجديدة ارتكز عليهم ،كما يصعب مع ذلك ضبط توزيع القبائل البربرية وحصرها في مكان عن آخر بسبب حركة الترحال.[35]

وتؤكد كتب الرحلة والجغرافيا أن قلعة بني حماد مستقر مملكة صنهاجة ،مايعني أن قبائل صنهاجة وفروعها استقروا بالمدينة وأقطعهم حماد الدور والمنازل؛فهي أكثر قبائل البربر عدداً لا يكاد قطر من أقطار المغرب يخلو من أحد بطونها التي بلغت

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

السبعين بطناً منها:قبائل تلكاتة ولمتونة،جدالة ،مسوفة ،لمطة ،مسراتة؛[36]حيث شكل الصنهاجيون وهم أبناء عمومة الحماديين في البداية طبقة ذات امتيازات داخل المدينة التي يتعايش فيها سكان قدموا من المدن المجاورة كمسيلة وسوق حمزة ويبدو أن مجموعة اخرى كانت تعيش معزولة عن الآخرين في الحي الذي يوجد به قصر المنار،ويتعلق الأمر بقبيلة جراوة البربرية التي كان أهلها حسب ابن خلدون يدينون باليهودية أو المسيحية وأخيرا هاجر إلى القلعة خلال القرن 11م سكان من القيروان من بينهم بعض اليهود.[37]

سكن العرب مدينة القلعة واستقروا بها حيث لم يبقوا منفصلين عن السكان المحليين على عادة المستعمرين للمغرب ،بل حدث تزاوج واختلاط بينهم وبين البربر،فكانت العادة أن يتزوج العربي من قبيلة بربرية فيكون الولد تابعاً لوالده من حيث اللغة والدين ،مع العلم أن للعرب فروع منهم القيسية واليمنية.[38]

وبعد دخول بنو هلال للمنطقة استقروا بقلعة بني حماد ومنهم بني هلال وبطنهم الأثبج وفخدهم مقدم وهؤلاء سكنوا القلعة ،ويرى البعض أنهم سكنوا ناحية الزاب والقلعة وفيمابعد تركزوا وحكموا بعض المدن بجانب بني حماد.[39]

استقرت قبائل زناتة التي كانت تعيش بالقرب من العاصمة الجديدة في كل من بسكرة والمسيلة وأوراس ونقاوس وطبنة،ثم نزلت القلعة وتمركزوا بها،ومن هذه القبائل الزناتية هوارة ومكناسة ومزاتة وبنو زنداج ومغراوة وبنو برزال ولواتة،على أن

هذه القبائل تكون قد سكنت المدينة الجديدة القلعة ،وهي بذلك تمثل تشكيلة سكان المملكة الحمادية في عهد حماد والقائد ومحسن.[40]

أما في عهد بلكين بن محمد فقد دخلت قبائل بني هلال وانضمت إلى هذه القبائل داخل المدينة ،واتخذوا منازلا لهم بجانب القلعة.[41]

كما يعكس لنا تطور المدينة واستقطابها لعدد كبير من العناصر السكانية حتى من أصحاب الأديان الأخرى كاليهود والنصارى؛ أي أن القلعة ضمت فئات مختلفة من اليهود وأصحاب الوظائف والتجار خاصة بعد فتح القيراون من قبل بني هلال فكانوا تجارا وأطباء وصياغ أو خبراء بالأمور المالية، [42]وحسب "دوماس لاتري "فإن النصارى كانوا يسكنون بقلعة بني حماد وكانت لهم كنيسة بقلعة بني حماد حوالي سنة 507هـ/1114م،ومايؤكد هدا تلك الرسالة التي بعثها البابا "غريغوار السابع" إلى الأمير الحمادي الناصر.وهدا يعكس مسألة التعايش التي كانت تنعم بها هده الجاليات بحيث كانت مقيمة بجانب القبائل البربرية المكونة للقلعة ،والتي كونت التركيبة البشرية التي عمرت المدينة عندما أصبحت عاصمة للحماديين.[43]

لقد جمعت العاصمة القلعة عديد العناصر السكانية وبذلك فهي ضمت الثقافة والحضارة فكانت المدارس والمعاهد العلمية والمساجد حافلة بدروس العلم والمجالس،فازدحم يومئذ على معاهدها الكثير من العلماء والحكماء والأطباء والشعراء وأهل الفنون،كما سكنها العديد من علماء الأندلس والشام ومصر والحجاز والعراق رغبة منهم في الإطلاع على هندسة عمرانها والإرتواء من حضارتها،كما استفادت القلعة من علمهم وثقافتهم ،فاستقطبت مدارسها الطلاب

حيث اجتمع على المدرس الواحد أكثر من مائة طالب،ومن مختلف الملل والأجناس دون تمييز بينهم في تلقين العلم بأمانة.[44]

ويكون الأمير حماد قد شجع على تعمير عاصمته الجديدة القلعة وأكثر فيها من إنشاء المساجد والفنادق والأسواق ،فكثر فيها العمران وارتحل إليها طلاب العلم وهواة الفن والتجارة من المناطق والبلاد الأخرى.[45]

6-إنعكاسات التنوع في التركيبة السكانية على الحياة الإجتماعية داخل مدينة القلعة:

تأثرت حياة مدن العواصم بماتناله من مظاهر الرعاية والإهتمام،وانعكس دلك على واقع الحياة الإجتماعية داخل مدينة القلعة فيما يتعلق بمظاهر الإحتفالات والمواكب ومظاهر التسامح الديني.كما انعكست الأحوال الإقتصادية على ملامح وتطور الحياة الإجتماعية داخل المدن،ويظهرذلك عندما توجهت سياسة الدولة الحمادية إلى الإعتماد على التجارة كمصدر دخل للدولة ،وماتبع ذلك من سياسة بناء الأسواق والمنشآت التجارية التي تساير هذا التطور ،فتوسعت الحرف وزادت كثافة النشاط فانجذب الناس إليها وزاد عمرانها.[46]

كما لايمكن أن نغفل تأثير الحياة الدينية والفكرية على الحياة الإجتماعية ،ولاسيما أن الدين الإسلامي ينظم حياة المجتمع في كل تفاصيله وسلوكاته داخل المدينة ،وهو يعكس تحول مدن كاملة في نظمها السياسية ومن دلك مدهبها الديني،وبروز التيارات الفكرية كالإعتزال والزهد ،هدا الأمر أدى إلى انفتاح المدينة على الثقافات المختلفة

واهتمام أبناءها بالعلم والعلماء،وبالمؤسسات الدينية المختلفة التي تسهر على نشر المدهب الملكي السني في أوساط ساكنة الدولة في القلعة ،ومثلت هده المؤسسات رابطة أساسية للمجتمع داخل المدينة.[47]

إن التباين في التركيبة السكانية واختلاط الأجناس داخل القلعة واحتكاكهم مع بعضهم البعض ،من المظاهر التي أثرت على الحياة الإجتماعية حيث امتد الأثر إلى العادات والتقاليد بين مختلف طبقات المجتمع وعكس دلك مظاهر من التعايش والتسامح حتى مع أصحاب الملل من أهل الدمة،الدين شاركوا المسلمين في جميع أمور الحياة داخل القلعة بما يوافق الشرع.[48]

ومن وجهة أخرى إدا نظرنا إلى شكل الحوانيت في الأسواق على جانبي الشوارع العامة المتسعة ،يعكس لنا ذلك الهدف من أجل تحقيق أغراض إجتماعية أخلاقية بمعنى حتى لايتم كشف حرماتها،وبناء على مبدأ "لاضرر ولاضرار"،فإن التعاليم الإسلامية حددت نظام الحياة الأسرية بما يحفظ الحرمات والعرض،وأصدر الفقهاء أحكامهم التي تدعم الخصوصية وطبقها القضاة.[49]

إن هذا الترابط الإجتماعي ينعكس تدريجيا بين مكونات المدينة من فناء البيت إلى الزقاق والساحة والجامع الكبير والسوق وصولا إلى المدينة كلها.إن هذه الصفة مع الصفات الأخرى للمحلة السكنية من حيث الأبعاد والتحام وتلاصق كتلها تكون تركيبا معماريا يحقق بخصائصه المميزة المتطلبات الإجتماعية المرغوبة.[50]

يتبلور هذا التكامل العمراني الإجتماعي من خلال الأساس الذي تستند عليه الأحياء السكنية للمدينة وهو الأساس الإجتماعي ،هذا التنظيم يقوم على أساس الإنتماء القبائلي أوالتبعية الدينية أو العقائدية لا على أساس المستوى المادي ،هذا الذي

يقلل من مظاهر التفرقة والتوتر الإجتماعي إذ تضم المدينة العالم والجاهل والفقير والغني مامن شأنه أن يقوي الروابط بين الناس ومن ثم الإندماج والإنسجام.[51]

ارتبطت مدينة القلعة بخصوصية مساحتها وعدد سكانها وتوزيعهم وكثافتهم وأنشطتهم ،فأدى هذا إلى ارتفاع في معدلات النمو السكاني بفعل عاملي الهجرة والزيادة الطبيعية ،بحيث لم تقتصرالهجرة على سكانها وإنما شهدت هجرة أجنبية إليها.[52]

خاتمة:

ارتبط اسم الدولة الحمادية بمؤسسها حماد بن بلكين الذي لايختلف اثنان حول شخصيته القوية سياسيا وعسكريا،كما لاينكر أحد فضله في تأسيس أول دولة بربرية مستقلة في المغرب الأوسط (الجزائر) مع مطلع القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي.

لايخامرنا الشك في أن حماد قام بجهود كبيرة على المستوى العسكري والسياسي مستغلا الظروف التي تمر بها المنطقة في فترة حكم الزيريين وعلاقتهم بالفاطميين والصراع بين أبناء العمومة على الحكم،هذا الأمر دفعه الى التفكير في اقامة دولة مركزية بسواعد أبناء المنطقة وسارع الى بناء مدينة له تكون عاصمة لدولته الفتية ألا وهي القلعة ،التي اختار لها مكانا استراتجيا محصنة طبيعيا،بحيث عمل على تعميرها بالساكنة على اختلاف انتماءاتهم وتوجهاتهم حتى يستطيع أن يرسم ويضمن

لنفسه فضاء يبني به دولة تساهم في التطور السياسي والحضاري للمنطقة ككل.على رغم المصاعب التي واجهته مع القبائل الصنهاجية والزناتية.

لقد برزت مؤهلاته في قيادة دولته وتركيز أركانها ،وتجسدت مظاهر قوتها في التصدي لكل المتربصين بها من زناتة وأبناء العمومة الصنهاجيين،كما انصبت اهتماماته على العديد الميادين السياسية والعسكرية والفكرية فأصبحت بذلك القلعة منطقة استقطاب للعلماء والفقهاء والتجار .

من خلال هذه الورقة البحثية وقفنا على جملة من النتائج التي سجلناها كالأتي:

- قوة شخصية حماد العسكرية والسياسية وهي تعكس خبرته في هذا المجال.
- تدهور الأوضاع السياسية في بلاد المغرب الإسلامي بسبب النزاعات على الحكم.
- الإختلاف المذهبي بالمنطقة والصراع بين السنة والشيعة.
- الصراعات القبلية على المجال والذي عكسته قبائل صنهاجة وزناتة.
- ميل قبائل المنطقة الى الإستقرار حيث جسدته ظاهرة تأسيس المدن.

7. الهوامش:(*)

[1] عثمان عبد الستار،**المدينة الإسلامية** ،عالم المعرفة،مطابع الرسالة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،الكويت،(د.ت)،ص95-96.

[2] خالد محمد مصطفى عزب،تخطيط وعمارة المدن الإسلامية،ط.1،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،قطر،1997، ص163.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

[3] نفسه ،ص 116.

[4] نفسه،ص117.

[5] ابن أبي الربيع،**سلوك المالك في تدبير الممالك**،تحقيق،ناجي التكريتي،دار الأندلس،بيروت،لبنان،1981،ص192.

[6] ابن الأزرق الأندلسي ،**بدائع السلك في طبائع الملك** ،تحقيق،محمد عبد الكريم، دار الكتب العلمية،ج.2، 1977،ص764-766.

[7] عبد الفتاح مقلد الغنيمي: **موسوعة تاريخ المغرب العربي**, ج4, ط1, مكتبة مدبولي, القاهرة, 1994م, ص 268 .

[8] الغنيمي ،المرجع السابق ،ص 268-269.

[9] عبد الرحمان الجيلالي،**تاريخ الجزائر العام**، ط.1،المطبعة العربية،الجزائر،1953،ج1 ،ص308.

[10] ابن عذاري المراكشي: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**, ج1, تحقيق, كولان وليفي بروفنسال, ط3،الدار العربية للكتاب،بيروت، 1973م, ص 239 .

[11] اسماعيل العربي،**دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية**،الشركة الوطنية للنشر،الجزائر،1980،ص90.

[12] رشيد بورويبة،**الدولة الحمادية-تاريخها وحضارتها**-ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1977،ص18.

[13] عبد الحليم عويس،**دولة بني حماد**، ط.1،دار الصحوة،مصر،1991،ص54.

[14] - ابن خلدون: **العبر**، مراجعة،خليل شحادة،دار الفكر للطباعة والنشر،بيروت،2000 ج6، ص 202 .

[15] - من ملوك قبيلة صنهاجة، التي ملكت المغرب الشرقي- الأدنى- و المغرب الأوسط من القرن الرابع إلى القرن السادس الهجري ، و كان بجانب أبيه زيري بن مناد في الحروب التي قام بها لمساندة الدولة الفاطمية الناشئة بالمغرب، يرجع له فضل توحيد المغرب من طرابلس إلى فاس ؛للمزيد: **معجم مشاهير المغاربة**، تنسيق أبو عمران الشيخ ،تقرير ناصر الدين سعيدوني،المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر ، 1995،ص86.

[16] - ينسب حماد إلى قبيلة صنهاجة البربرية, أما تاريخ مولده فليس معروفا على وجه الدقة, حيث قيل أنه ولد قبل استقلال والده بلكين بن زيري بحكم المغرب, وذلك عام 361هـ/971م, تربى في قصور الخلافة مع

أبناء الخلفاء الفاطميين الحاكمين في إفريقية آنذاك. عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق ج4،ص 268 .

[17] - ابن خلدون: العبر، ، ج6، ص 202 .

[18] - المهدية :"308/303هـ" مدينة جليلة بناها عبيد الله بشبه جزيرة جمة بين سوسة و صفاقس ، و لما أتم بنائها أطلق عليها اسم المهدية ، و نقل إليها حكومته سنة 308هـ واتخذا عاصمة دولته، و قد وصفها الأديب التيجاني في رحلته بالقرن السابع الهجري فقال : " المهدية مدينة جليل قدرها ،شهير في قواعد الإسلام ذكرها، و هي من بناء عبيد الله المهدي أول خلفاء العبيديين.؛ رابح بونار : **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م ،ص 130.

[19] - حسين مؤنس : **معالم تاريخ المغرب و الأندلس**،دار الرشاد و مكتبة الأسرة للأعمال الفكرية،مصر،1992،ص173

[20] - ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج1، ص 239 .

[21] - يذكر صاحب الاستبصار منوها بذكاء حماد قوله: "ما تداها عليا أحد قط ولا خدعني إلا إمرأة وكعاء من البربر, مؤلف مجهول: **الإستبصار في عجائب الأمصار**، تعليق ؛سعد زغلول عبد الحميد،ط2،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد،دار النشر المغربية، الدار البيضاء،1986 ،ص ص 169، 170 .

[22] - وكان لحماد تجربة في الحروب وفراسة حسنة وذكاء، نفسه، ص ص 167، 168، كما وصفه لسان الدين ابن الخطيب بقوله " كان حماد نسيج وحده وفريد دهره وفحل قومه, ملكا كبيرا وشجاعا وداهية حصيفا" . ؛ لسان الدين ابن الخطيب: **أعمال الأعلام في بيع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**, وما يتعلق بذلك من الكلام, ج2, ط1, تحقيق, سيد كسروي حسن, دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ص 328 .

[23] - ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج2، ص 328؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص 202 .

[24] - رشيد بوروبية: الدولة الحمادية، ص ص 17، 18 .

[25] - ابن خلدون: العبر،ج6، ص 202 .

البكري أبو عبدالله ،**المسالك والممالك**،تح .جمال طلبة ، ط.1،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان، ،ج2،ص239-240. [26]

[27] ياقوت الحموي ،**معجم البلدان** ،تح،فريد عبدالعزيز الجندي،ط.1،دار الكتب العلمية ،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،قطر،1997،ص390.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

[28] البكري،المصدر السابق،ج2،ص226؛ الإدريسي محمد بن عبد العزيز،**نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ط.1،دار عالم الكتب ،لبنان،ج1989،1،ص255.

[29] البكري،المصدر السابق،ج2،ص226.

[30] الإدريسي،المصدر السابق،ج1،ص255.

[31] مجهول،المصدر السابق،ص167-168.

[32] Georges Marcais,**La Berberie Musulmane et L'orient au moyen** age,Ed,Montagne,13conti,paris,1946,p164-165 .

[33] E .F.Gautier,**Le Passe De L'afrique Du Nord** ,petite bibliotheque,payot,paris,1964,p394-395.

[34] علاوة عمارة،"**الحكم والإقتصاد والمجتمع في المغرب الحمادي**"،مجلة الآداب والعلوم الإنسانية،كلية الآداب،جامعة قسنطينة،العدد4،أكتوبر2004،ص271.

[35] البكري ،المصدر السابق،ج.2،ص 144-154.

[36] نفسه،ص229.

[37] ابن خلدون،العبر،ج.6،ص102.

[38] حسين مؤنس،ج.1،ص108.

[39] E .F.Gautier,Op.cit,p394-395.

[40] رشيد بورويبة، المرجع السابق،ص159-160.

[41] الياس الحاج عيسى، "**دور العصبية في تأسيس الملك،الدولة الحمادية أنموذجا**"،مجلة دراسات تراثية ،مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط،جامعة الجزائر2015،2.

[42] عبد الرحمان بشير، **اليهود في المغرب العربي(22-462هـ/642-1080م)**،ط.1،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية،مصر،2001، ص44

[43] De mas latrie,

[44] عبد الرحمان الجيلالي،المرجع السابق ،ص329-330.

[45] نفسه،ص 328.

[46] عبد الستار عثمان ،المرجع السابق، ص325.

[47] اسماعيل العربي،**المدن المغربية**،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984،ص 167-168.

[48] كامل الكناني، **"تخطيط المدينة العربية الإسلامية(الخصوصية والحداثة)"**،مجلة المخطط والتنمية،المعهد العالي للتخطيط الحضري والإقليمي،ع.15،بغداد،2006، ص -ص7-11.

[49] ابن الرامي ،**الإعلان بأحكام البنيان**،تحقيق ،فريد بن سليمان،مركز النشر الجامعي،1999،ص57-58.

[50] كامل الكناني، المرجع السابق،ص10.

[51] مصطفى عزب، المرجع السابق،ص 161.

[52] رشيد بورويبة ،المرجع السابق،ص161.

8. قائمة المراجع:

1. . ابن أبي الربيع،سلوك المالك في تدبير الممالك،تحقيق،ناجي التكريتي،دار الأندلس،بيروت،لبنان،1981،ص192.
2. ابن الأزرق الأندلسي ،بدائع السلك في طبائع الملك ،تحقيق،محمد عبد الكريم، دار الكتب العلمية،ج.2، 1977،ص764-766.
3. ابن الرامي ،الإعلان بأحكام البنيان،تحقيق ،فريد بن سليمان،مركز النشر الجامعي،1999،ص57-58.
4. ابن خلدون: العبر، مراجعة،خليل شحادة،دار الفكر للطباعة والنشر،بيروت،2000 ج6، ص 202 .
5. ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب, ج1, تحقيق, كولان وليفي بروفنسال, ط3،الدار العربية للكتاب،بيروت، 1973م, ص 239 .
6. الإدريسي محمد بن عبد العزيز،نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط.1،دار عالم الكتب ،لبنان،ج1989،1،ص255
7. اسماعيل العربي،المدن المغربية،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984،ص 167-168.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

8. اسماعيل العربي،دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية،الشركة الوطنية للنشر،الجزائر،1980،ص90.
9. البكري أبو عبدالله ،المسالك والممالك،تح .جمال طلبة ، ط.1،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان، ،ج2،ص239-240.
10. حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب و الأندلس،دار الرشاد و مكتبة الأسرة للأعمال الفكرية،مصر،1992،ص173.
11. خالد محمد مصطفى عزب،تخطيط وعمارة المدن الإسلامية،ط.1،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،قطر،1997، ص163
12. رابح بونار : المغرب العربي تاريخه وثقافته، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م ،ص 130.
13. رشيد بورويبة،الدولة الحمادية-تاريخها وحضارتها-ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1977،ص18.
14. عبد الحليم عويس،دولة بني حماد، ط.1،دار الصحوة،مصر،1991،ص54.
15. عبد الرحمان الجيلالي،تاريخ الجزائر العام، ط.1،المطبعة العربية،الجزائر،1953،ج1 ،ص308.
16. عبد الرحمان بشير، اليهود في المغرب العربي(22-462هـ/642-1080م)،ط.1،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية،مصر،2001، ص44
17. عبد الفتاح مقلد الغنيمي: موسوعة تاريخ المغرب العربي, ج4, ط1, مكتبة مدبولي, القاهرة, 1994م, ص 268 .
18. عثمان عبد الستار،المدينة الإسلامية ،عالم المعرفة،مطابع الرسالة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،الكويت،(د.ت)،ص95

مجلة الدراسات التاريخية

19. علاوة عمارة، "الحكم والإقتصاد والمجتمع في المغرب الحمادي"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية،كلية الآداب،جامعة قسنطينة،العدد4،أكتوبر2004،ص271.
20. كامل الكناني، "تخطيط المدينة العربية الإسلامية(الخصوصية والحداثة)"،مجلة المخطط والتنمية،المعهد العالي للتخطيط الحضري والإقليمي،ع.15،بغداد،2006، ص -ص7-11.
21. لسان الدين ابن الخطيب: أعمال الأعلام في بيع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام, وما يتعلق بذلك من الكلام, ج2, ط1, تحقيق, سيد كسروي حسن, دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ص 328 .
22. مؤلف مجهول: الإستبصار في عجائب الأمصار، تعليق ؛سعد زغلول عبد الحميد،ط2،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد،دار النشر المغربية، الدار البيضاء،1986 ،ص ص 169، 170 .
23. الياس الحاج عيسى، "دور العصبية في تأسيس الملك،الدولة الحمادية أنموذجا"،مجلة دراسات تراثية ،مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط،جامعة الجزائر2015،2.
24. ياقوت الحموي ،معجم البلدان ،تح،فريد عبدالعزيز الجندي،ط.1،دار الكتب العلمية ،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،قطر،1997،ص390.

25. E .F.Gautier,**Le Passe De L'afrique Du Nord** ,petite bibliotheque,payot,paris,1964,p394-395.
26. Georges Marcais,**La Berberie Musulmane et L'orient au moyen** age,Ed,Montagne,13conti,paris,1946,p164-165 .